الثبات عند البلاء (١)

التوكل

عباد الله، إن الله تعالى خلق الخلق، وأرسل الرسل، وشرع الشرائع؛ ليعلم- علم ظهور وهو سبحانه العليم- من يحسن ومن يسيء، فابتلى المكلفين بأنواع الابتلاءات؛ ليميز الخبيث من الطيب، بل كلما اقترب الناس من ربهم كلما ازداد البلاء، ذلك عباد الله لأن حقيقة الدنيا كلها أنها دار بلاء، والراحة الحقيقية في الدار الآخرة، فمن أراد السعادة المادية الكاملة؛ فلن يجدها إلا إذا ربط الدنيا بالآخرة.

والبلاء شريعة عامة لكل مخلوق، مسلمًا كان أو كافرًا، رجلًا كان أو امرأة، صالحًا كان أم طالحًا، فالمؤمن الحق هو الذي يعرف أنه لا مفر من البلاء إلا عند دخول الجنة بإذن الله، قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤].

واعلموا عباد الله أن البلاء والصبر عليه لا يكون كما يظن البعض أنه خاص بالضعاف والمذنبين، بل كلما اقتربت من الله؛ كنت أهلًا للابتلاء وللتمحيص، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا؛ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ؛ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**)[١].

---

[١] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٢٣٩٨)، وقال: حسن صحيح، وقال الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي رحمه الله (٢٣٩٨): حسن صحيح.

فالأنبياء ابتلاهم الله تعالى ابتلاءً عظيما، وإلا لماذا يخرج الرسول ﷺ مطاردًا في الغار؟ ولماذا يخرج موسى عليه السلام وصحبه وهم مطاردون، ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾[الشعراء: ٦١ – ٦٢]؟ ولماذا يذبح يحيى بن زكريا عليه السلام وتقطع رأسه وتقدم إلى امرأة بغي؟ ولماذا ابتلى إبراهيم عليه السلام مع النمرود؟ ولماذا ابتلى عيسى عليه السلام حتى يجتمعوا عليه ليقتلوه فيرفعه الله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]؟ ولماذا ابتلى نوحًا عليه السلام في ابنه وزوجه؟ ولماذا ابتلى لوطًا عليه السلام في زوجه وقومه؟ كل ذلك لتعلم أنها السنة الكونية والقضاء الذي قضاه الله على البشرية ليميز الخبيث من الطيب.

وغاية البلاء التمحيص، والتمييز، وتكفير الذنوب، ورفع الدرجات، فنُبتلى في الأموال، والأولاد، والصحة، والزوجة، والرحم، نبتلى في الأسعار، والمعاملة، والخوف، والجوع، والعطش، والأنفس، والثمرات، والذل، والهوان، والضعف.

والواجب علينا أمام هذا البلاء **ثلاثة أمور**:

أولًا: التوكل على الله. **ثانيًا**: الصبر والاحتساب.

ثالثًا: الأخذ بالأسباب لرفع البلاء إن كان في مقدور الإنسان.

أولًا: التوكل على الله:

هذه الكلمة التي تلهج بها ألسنتنا دون قلوبنا وعقولنا إلا من رحم الله، يحفظها المرء ولا يفهم معناها، ولا يقوم بمقتضاها، ولا يحصل آثارها.

يقول ابن رجب رحمه الله: (**حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ: هُوَ صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلِّهَا**)[1].

ويقول الجرجاني رحمه الله: (**هُوَ الثِّقَةُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ**)[2].

---

[1] جامع العلوم والحكم (٤٩٧/٢)، لابن رجب الحنبلي رحمه الله.

[2] أنوار البروق في أنواء الفروق (٢٤٣/٤)، للقرافي رحمه الله.

ويقول سهل رحمه الله عن التوكل على الله: (**هُوَ الِاسْتِرْسَالُ مَعَ اللَّهِ عَلَى مَا يُرِيدُ**)[1]، ويقول أبو تراب النخشبي رحمه الله: (**هُوَ طَرْحُ الْبَدَنِ فِي الْعُبُودِيَّةِ، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَى الْكِفَايَةِ، فَإِنْ أُعْطِيَ؛ شَكَرَ، وَإِنْ مُنِعَ؛ صَبَرَ**)[2]، ويقول ابن حنبل رحمه الله: (**أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ، وَلَا يَكُونَ فِي قَلْبِهِ أَحَدٌ مِنَ الْآدَمِيِّينَ يَطْمَعُ أَنْ يَجِيئَهُ بِشَيْءٍ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ كَانَ اللَّهُ يَرْزُقُهُ، وَكَانَ مُتَوَكِّلًا**)[3].

واعلموا عباد الله أن التوكل ليس بالأمر الهين أو القليل في الإسلام، بل لو قلت: إن التوكل نصف الدين؛ لكنت مُحِقًّا؛ ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥** ﴾ [الفاتحة: ٥]، فالنصف عبادة، والنصف الآخر استعانة، ويقول تعالى: ﴿ **عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨** ﴾ [هود: ٨٨]، والإنابة هي العبادة؛ إذن فالتوكل هو الاستعانة.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (**الناس مع التوكل والعبادة على أربعة أنواع؛ الأول: لا يتوكل ولا يعبد، والثاني: يعبد ولا يتوكل، والثالث: يتوكل ولا يعبد، والرابع: يتوكل ويعبد. انتهى**).

فعلينا عباد الله أن نستشعر التوكل حال العبادة؛ الوضوء، الصلاة، نتوكل على الله في الأعمال عموما حتى نتمها.

هيا بنا في رحلة مع كلام الله لننظر مقدار التوكل في كتاب الله:

فتارة سبحانه يأمر به فيقول: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ** ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وتارة أخرى يخبر عن نفسه أنه نعم الوكيل: ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ**

---

[1] كشف القناع عن متن الإقناع (٤١٨/١)، للبهوتي رحمه الله.

[2] مدارج السالكين (١١٦/٢)، لابن القيم رحمه الله.

[3] الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك (١١٨)، لابن الخلال رحمه الله.

﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وتارة يخبر بأنه وكيل كل شيء: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢﴾ [هود: ١٢]، وتارة ينفي الوكالة عمن سواه: ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ٢﴾ [الإسراء: ٢]، وتارة يجعله صفة للنبي ﷺ، فيقول تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩]، وتارة يبين أنه في شرائع من قبلنا، فيقول في رجلين من بني إسرائيل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]، وتارة يبين الله أن من توكل على الله فهو يكفيه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: (**جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتْلُو هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، قَالَ: فَجَعَلَ يُرَدِّدُهَا حَتَّى نَعَسْتُ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَتْهُمْ**)[1].

فتوكل -عبد الله- على ربك في أمور الدنيا والدين، فمن حسن توكلك في أمور الدنيا أن تعلم أن الرزق مقسوم والأجل معلوم، فلا تغش ولا تسرق.

وتتوكل في أمور الدين في طلب الجنة وحسن العبادة، فاعتمد على الله فهو الحافظ، وتوكل عليه واركن إليه، فهو سبحانه ذو الركن الشديد.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (**كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ،**

[1] أخرجه الحاكم رحمه الله في المستدرك (٣٨١٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وقال الذهبي رحمه الله في تعليقه (٣٨١٩): صحيح.

إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ؛ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ؛ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)[1]؛ فلا ذل ولا هوان، بل عزة واستعانة بالله ﷻ، وإن كان الأمر كذلك؛ فتوكل عليه، واشْكُ له، ولا تشكُ للناس، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ؛ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ؛ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ)**[2].

يقول ابن القيم رحمه الله: **(الْجَاهِل يشكو الله إِلَى النَّاس، وَهَذَا غَايَة الْجَهْل بالمشكو والمشكو إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَو عرف ربه؛ لما شكاه، وَلَو عرف النَّاس؛ لما شكا إِلَيْهِم)**[3].

مشينا خطا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطا مشاها

وأرزاق لنا متفرقات ... فمن لم تأته منا أتاها

ومن كتبت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

فإن وقر التوكل، واليقين، والاعتماد على الله في قلبك؛ فسوف تجد ثمار ذلك

أولا السكينة: سكينة النفس، فأنت بتوكلك في حصن حصين، وهذه هي الحالة التي كان عليها الأنبياء والمرسلين، وكان عليها النبي ﷺ، فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: **(قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ؛ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا)**[4]؛ ثبات وحسن توكل.

---

[1] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٢٥١٦)، وقال: صحيح، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي رحمه الله (٢٥١٦).

[2] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٢٣٢٦)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥٦٦).

[3] الفوائد (٨٧)، لابن القيم رحمه الله.

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٦٥٣)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه بلفظ مقارب (٢٣٨١).

وكذلك هي الحالة التي كان عليها ﷺ عندما (**قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ أَوْ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: اللَّهُ، قَالَ: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ**)[1].

وهي الحالة التي كان عليها موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم لما طارده فرعون وجنوده، يقول تعالى: ﴿ **قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾** ﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٢]؛ ثبات وحسن توكل.

وهي الحالة التي كان عليها سيدنا إبراهيم ﷺ عندما ألقي في النار، فلم ينشغل إلا بقول: (**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**)[2].

وهي الحالة التي كانت عليها أم إسماعيل لما تركها زوجها إبراهيم ﷺ في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، ومعها ابنها الرضيع، فقالت لإبراهيم ﷺ: (**آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذًا لَا يُضَيِّعُنَا**)[3].

يقول ابن القيم رحمه الله: (**التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق، وظلمهم، وعدوانهم**)[4].

دعِ المقاديرَ تجري في أعنّتها ... ولا تَبِيتَنَّ إلا خاليَ البالِ

ما بين غمْضةِ عين وانتباهتِها ... يغيّر الله مِنْ حالٍ إلى حالِ

ثانيا: القوة الروحية والنفسية:

يقول عياض بن عمرو رحمه الله: (**شهدتُ الْيَرْمُوك وَعَلَيْنَا خَمْسَةُ أُمَرَاءَ: أَبُو عُبَيْدَةَ،**

---

[1] أخرجه ابن حبان رحمه الله في صحيحه (٢٨٨٣)، وصححه الألباني رحمه الله في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢٨٧٢)، ورواه البخاري ومسلم رحمهما الله بغير هذا السياق.

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٥٦٣).

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٣٦٤).

[4] التفسير القيم (ص: ٦٤٩)، لابن القيم رحمه الله.

وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَابْنُ حَسَنَة، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعِيَاضٌ، وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: إِذَا كَانَ قِتَالٌ؛ فَعَلَيْكُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ، قَالَ: فَكَتَبْنَا إِلَيْهِ إِنَّهُ قَدْ جَاشَ إِلَيْنَا الْمَوْتُ، وَاسْتَمْدَدْنَاهُ، فَكَتَبَ إِلَيْنَا: إِنَّهُ قَدْ جَاءَنِي كِتَابُكُمْ تَسْتَمِدُّونَنِي، وَإِنِّي أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَعَزُّ نَصْرًا وَأَحْصَنُ جُنْدًا: اللَّهُ عز وجل، فَاسْتَنْصِرُوهُ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ نُصر يومَ بَدْرٍ فِي أَقَلِّ مِنْ عِدَّتِكُمْ، فَإِذَا جَاءَكُمْ كِتَابِي؛ فَقَاتِلُوهُمْ وَلَا تُرَاجِعُونِي، فَقَاتَلْنَاهُمْ فَهَزَمْنَاهُمْ أَرْبَعَةَ فَرَاسِخَ، وَأَصَبْنَا أَمْوَالًا)[1].

ثالثا: **العزة**: يقول تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧]، (دَخَلَ هِشَامُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا هُوَ بِسَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنهم، فَقَالَ لَهُ: يَا سَالِمُ، سَلْنِي حَاجَةً، فَقَالَ: إِنِّي أَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ أَسْأَلَ فِي بَيْتِ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ، فَلَمَّا خَرَجَ؛ خَرَجَ فِي أَثَرِهِ، فَقَالَ لَهُ: الآنَ قَدْ خَرَجْتَ، فَسَلْنِي حَاجَةً، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا أَمْ مِنْ حَوَائِجِ الآخِرَةِ؟ فَقَالَ: مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: أَمَا وَاللَّهِ، مَا سَأَلْتُ الدُّنْيَا مَنْ يَمْلِكُهَا، فَكَيْفَ أَسْأَلُ مَنْ لا يَمْلِكُهَا؟)[2].

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإنّ ذلك نقص منك في الدين

لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة ... إلا بإذن الذي سواك من طين

رابعا الرضا: يقول ابن القيم رحمه الله: (وَهِيَ ثَمَرَةُ التَّوَكُّلِ، وَمَنْ فَسَّرَ التَّوَكُّلَ بِهَا؛ فَإِنَّمَا فَسَّرَهُ بِأَجَلِّ ثَمَرَاتِهِ وَأَعْظَمِ فَوَائِدِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا تَوَكَّلَ حَقَّ التَّوَكُّلِ؛ رَضِيَ بِمَا يَفْعَلُهُ وَكِيلُهُ، وَكَانَ شَيْخُنَا رضي الله عنه يَقُولُ: الْمَقْدُورُ يَكْتَنِفُهُ أَمْرَانِ: التَّوَكُّلُ قَبْلَهُ، وَالرِّضَا بَعْدَهُ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَرَضِيَ بِالْمَقْضِيِّ لَهُ بَعْدَ الْفِعْلِ؛ فَقَدْ قَامَ بِالْعُبُودِيَّةِ)[3].

---

[1] أخرجه ابن حبان رحمه الله في صحيحه (٤٧٦٦) بلفظ مقارب، وصحح إسناده ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٩٢/٢).

[2] ترتيب الأمالي الخميسية (٢٥٨/٢)، للشجري رحمه الله.

[3] مدارج السالكين (١٢٢/٢)، لابن القيم رحمه الله.

يقول عامر بن عبد قيس رحمه الله: (ثَلَاثُ آيَاتٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ اكْتَفَيْتُ بِهِنَّ عَنْ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، أَوَّلُهُنَّ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴾[يونس: ١٠٧]، وَالثَّانِيَةُ: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾[هود: ٦]، وَالثَّالِثَةُ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر: ٢])[1].

خامسا الأمل: (حكي أن حاتما الأصم كان رجلا كثير العيال، وكان له أولاد ذكور وإناث، ولم يكن يملك حبة واحدة، وكان قدمه التوكل، فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم، فتعرضوا لذكر الحج، فداخل الشوق قلبه، ثم دخل على أولاده، فجلس معهم يحدثهم، ثم قال لهم: لو أذنتم لأبيكم أن يذهب إلى بيت ربه في هذا العام حاجا، ويدعو لكم، ماذا عليكم لو فعلتم؟ فقالت زوجته وأولاده: أنت على هذه الحالة لا تملك شيئا، ونحن على ما ترى من الفاقة، فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة؟ وكان له ابنة صغيرة، فقالت: ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك؟! دعوه يذهب حيث شاء، فإنه مناول للرزق، وليس برزاق، فذكّرَتهم ذلك، فقالوا: صدقَتْ والله هذه الصغيرة، يا أبانا، انطلق حيث أحببت، فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج، وخرج مسافرا، وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج، وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه، فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون: لو سكتّ؛ ما تكلمنا، فرفعت الصغيرة طرفها إلى السماء، وقالت: إلهي، وسيدي، ومولاي، عودت القوم بفضلك، وأنك لا تضيعهم، فلا تخيبهم، ولا تخجلني

[1] فتح القدير (٥٤٣/٢)، للشوكاني رحمه الله.

معهم، فبينما هم على هذه الحالة، إذ خرج أمير البلدة متصيدا، فانقطع عن عسكره وأصحابه، فحصل له عطش شديد، فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الأصم، فاستسقى منهم ماء، وقرع الباب فقالوا: من أنت؟ قال: الأمير ببابكم يستسقيكم، فرفعت زوجة حاتم رأسها إلى السماء، وقالت: إلهي وسيدي سبحانك، البارحة بتنا جياعا، واليوم يقف الأمير على بابنا يستسقينا، ثم إنها أخذت كوزا جديدا وملأته ماء، وقالت للمتناول منها: اعذرونا، فأخذ الأمير الكوز وشرب منه، فاستطاب الشرب من ذلك الماء، فقال: هذه الدار لأمير؟ فقالوا: لا والله، بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الأصم، فقال الأمير: لقد سمعت به، فقال الوزير: يا سيدي، لقد سمعت أنه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئا، وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعا، فقال الأمير: ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم، وليس من المروءة أن يثقل مثلنا على مثلهم، ثم حل الأمير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار، ثم قال لأصحابه: من أحبني؛ فليلق منطقته، فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها إليهم، ثم انصرفوا، فقال الوزير: السلام عليكم أهل البيت، لآتِيَنَّكم الساعة بثمن هذه المناطق، فلما أنزل الأمير رجع إليهم الوزير، ودفع إليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واستردها منهم، فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا، فقالوا لها: ما هذا البكاء؟ إنما يجب أن تفرحي، فإن الله قد وسّع علينا، فقالت: يا أم، والله إنما بكائي كيف بتنا البارحة جياعا، فنظر إلينا مخلوق نظرة واحدة، فأغنانا بعد فقرنا، فالكريم الخالق إذا نظر إلينا؛ لا يكلنا إلى أحد طرفة عين، اللهم انظر إلى أبينا، ودبره بأحسن التدبير، هذا ما كان من أمرهم)[1].

---

[1] وردت القصة في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف (١/٧٦)، للأبشيهي رحمه الله.

تعليقي: **رحمها الله، (وهل عطف عليها، وأعطاها المخلوق، ونظر إليها إلا برحمة الله بعد أن توكلت عليه، غير أنها تقارن بين العطاءين).**

سادسا: دخول الجنة بغير حساب:

قال النبي ﷺ: (**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**)[١].

فإن نابك شيء، أو عرض عليك عارض، أو أصابك هم، أو غم، أو دَيْن، أو بلاء، أو وباء؛ فقف بين يديه سبحانه في السحر وافعل كما فعل قائل هذه الأبيات:

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا ... وَبِتُّ أَشْكُو إِلَى مَوْلاي مَا أَجِدُ

فَقُلْتُ يَا أَمَلِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ... وَمَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضُّرِّ أَعْتَمِدُ

أَشْكُو إليك أُمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا ... مَالي إِلَى حَمْلِهَا صَبْرٌ وَلا جَلَدُ

وقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالذُّلِّ مُبْتَهِلًا ... إليك يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إليه يَدُ

فَلا تَرُدَنَّهَا يَا رَبُّ خَائِبَةً ... فَبَحْرُ جُودِكَ يُرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ

---

[١] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٤٧٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢١٨)، واللفظ لمسلم رحمه الله.